الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة باتنة -1- الحاج لخضر

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة

الملتقى الوطني: " المناهج التعليمية بين الحواضر العلمية والجامعات الإسلامية المعاصرة"

يوم: 22 أفريل 2024 .

نصوص محاضرات ملتقى

مداخلة بعنوان :ماذا يمكن أن نستفيده من الحواضر العلمية؟ وكيف؟

إعداد طالب الدكتوراه: نورالدين محمدي.

جامعة: باتنة -1-

كلية: العلوم الإسلامية.

قسم: اللغة العربية والحضارة الإسلامية.

●ملخص المداخلة:

يعالج هذا المقال بالأساس تحديد الفروق بين مناهج التعليم القديمة، التي أسست للريادة الحضارية في منطقة البحر المتوسط، وبين مناهج التعليم الحديثة التي لا تزال تبحث عن حلول لمشاكلها.. وكذلك كيف يمكن أن تستفيد الجامعات الحديثة من مناهج الحواضر العلمية بالغرب الإسلامي لتطوير ذاتها وتحسين مستواها، و قيادة الركب الحضاري. مع التركيز على المستند التعليمي، و قيمة المحتوى العلمي، والأشخاص والهيئات القائمة على الجهد التعليمي، وكيفية بناء شخصية المتعلم، و الغايات والأهداف من التربية والتعليم.

Summary

ancient between This article deals primarily with identifying the differences among modern education leadership in the mediterranean region , And educational cultural problems. And also how can modern curricul that are still searching for solution to their thier level . And leading and universities benefit from the curricula of deveiop themeselves Focusing on the educational document . And the peopl and .the civilizational movement learners the bodies reponsible for the educational effort. And the method of building .personality . And the goals and objectives of education

الكلمات المفتاحية:

الحواضر العلمية، الشيخ، الطلاب، الجامعات المعاصرة، طرائق التدريس، المناهج، التعليم، دفعات التخرج. مقارنة،

●تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد.

الحمد لله أولا و آخرا على نعمة الإسلام الإيمان، وله الحمد على نعمة البيان (خلق الإنسان علّمه البيان) ويقول الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- "وإن من البيان لسحرا " ، ولقد جاء الحث على العلم والتعلم في شريعة الإسلام في كثير من مواضع القرآن والسنة المطهرة.. واستجابة لأمر الله ورسوله في شأن العلم والتعليم، أُنشئت مساجد يذكر الله فيها كثيرا، يقصدها العابد للعبادة والجاهل لتعلم أمور دينه، كما أنشئت ملاحق أخرى متعلقة بالمسجد مثل: المدارس، والكتاتيب، والمعاهد، متشابهة متقاربة في الوظيفة... ومع تقدم الزمان، كثرت العلوم والفروع و المصنفات من كل فن. فصار لكل تعليم توجهه و خصائصه ورجاله من أهل الصناعة، فازدهرت حواضر الإسلام قاطبة بالعلوم والمكتبات والعلماء، وقامت فيها الحضارة بشقيها -الفكرية والعمرانية – وسادت أمة الإسلام على سائر الأمم.. ومع مرور الزمان، تولى المسلمون القهقرى تخلفوا عن باقي الأمم حضاريا وفكريا وأخلاقيا و سياسيا ..

وفي محاولة جديدة قامت بها هيئات التعليم في العصر الحديث في العالم الإسلامي والعربي، أنشأت العديد من بلاد الإسلام مؤسسات تعليمية على مختلف المراحل التي يمر عليها المتعلم (الابتدائي، المتوسط ، الثانوي، التعليم العالي) ووفّرت أغلب المستلزمات العلمية، والمرافق البيداغوجية المساعدة على التعلم، على أمل استعادة المجد التليد وإحياء الحضارة الإسلامية.. لكن هذه المحاولة التعليمية وبالأخص الجامعات الإسلامية المعاصرة لم تؤت أكلها كما كان ينظر منها. وهو الأمر الذي يستدعى نقاشات الباحثين والمختصين وإعادة القراءة في التعليم ونظمه ومناهجه وإجراء العديد من الإصلاحات والتعديلات... وقام آخرون بدراسة مناهج الحواضر العلمية القديمة و مقارنتها بمناهج الجامعات الإسلامية المعاصرة...

●أبرز الفوارق بين النظم التعليمية القديمة ومناهج الجامعات المعاصرة:

* **نظرة المجتمع إلى التعليم:** عند الحديث عن أي أمر ما، لا بد من معرفة موقف الناس منه، هل هو مقبول أو لا؟ وهل له قيمة أم ليس له قيمة؟ ولا شك أن الكلام حول العلم في بلاد المسلمين في القديم والحديث أمر من المسلمات اليقينيات التي لا يختلف فيها اثنان حول أهمية العلم في حياة الناس، ولما جاء من كثير الآثار في نصوص الشريعة التي تحث عليه وترغب فيه، ولكن قد تزيد قيمته عند قوم وتنقص عند قوم آخرين...

ففي الحواضر الإسلامية القديمة إبان العصور الذهبية للمجد الإسلامي، كانوا يعدون العلم بابا من الفقه التي يتقرب بها إلى الله -تبارك وتعالى-، أكثر مما هو باب التكسب وطلب الرزق.. بل وإن كثيرا من كتب الفقه تُفرد لها كتابا أو بابا من أبوابها ومعنى ذلك أنه النظرة العامة والخاصة كانت نظرة إجلال وتقدير، ولا ينال هذا الشرف إلا من اصطفاه الله على الناس فهو بمكانة حامل القرآن فكان حامل العلم من العلماء أو طالب العلم من المتعلمين يستشعر قدر الأمانة الموكلة إليه فيهلك صحته، ويهدر وقته في سبيل تعلم هذا العلم وتعليمه للمتعلمين.. و هذا ما يعطي دفعا لتقدم العلوم و إتقانها، وكذلك يفتح الله عليه من الأسرار ما لا يعلمه إلا الله -تبارك وتعالى -..

أما في الجامعات الإسلامية المعاصرة، فهو يختلف من قطر إلى قطر، فإن التعليم وإن كان محترما إلى حد ما، فإنه ليس بتلك القداسة التي أولاها الأولون للعلم،وكلما عظم الشيء في النفوس زاد التفنن في إبداعه، وفي بعض البلاد الإسلامية التي أولت عناية بالتعليم تحسنت ظروفها نوعا ما، لكن ليس بالقدر الكافي، لأن هناك عوامل أخرى تعيقها، وحال التعليم في هذه الجامعات لأغراض أخرى قلما يكون تعبديا إلا ما ندر. بل وفي بعض البلاد العربية المتخلفة يتفاخر أصحاب الصناعات الأخرى على صناع التعليم بينهم، ويقللون من شأن التعليم، وفي الحالين يكون أثر التعليم أقل من المستوى المأمول بكثير.

* **قيمة المعلم:** وأما عن قيمة المعلم فهي جزء من قيمة العلم. ففي الحواضر القديمة كان المعلم إماما أو عالما له صيت كبير، له هيبة ووقار لدى الناس ،يجلونه ويحترمونه حتى الأمراء منهم، ويقدمون في المناسبات والمكرمات. يقول أبي حامد الغزالي: " ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما، فليحفظ آدابه ووظائفه"

أما في الجامعات الإسلامية فقيمة المعلم أقرب ما يكون إلى أي موظف في قطاعات أخرى، وقد يتعرض للامتهان، و الدعاية الإعلامية، والمساءلات القضائية أمام المجتمع بما لا يليق به ، فهو ليس

بنفس القيمة في الحواضر الإسلامية القديمة. وبالتالي فإن القائم على التعليم قليل القيمة مقارنة بما هو عليه الحال في الحواضر القديمة وهو ما يؤثر على نفسيته وإنتاجه الفكري.

* **المناهج:** بناء المناهج أو الطرائق التعليمية في الحواضر العلمية القديمة يقوم عليه أهل الاختصاص من علماء المسلمين، ويكون مستنبطا من القيم الإسلامية البحتة واللغة العربية والتاريخ الإسلامي ، يدور داخل فلك الهوية الإسلامية العربية لا يخرج عنها.. هذا بالأساس، ثم بعد ذلك ينتقى ما يناسب المتعلم حسب قدراته و عمره ومراحل التدريس..

أما في الجامعات الإسلامية الحديثة فأكثر المناهج التعليمية مستوردة من الغرب أو برؤية الخبراء غربيين، قد تكون صحيحة إلى حد كبير، لكن بما أنها من فكر لا يتماشي مع مبدئه قد يشكل تباطؤا في الاندماج والإنتاج.

* **إ نتقاء المعلم:** أو القائم على العملية التربوية، فأما في الحواضر القديمة فيتم اختيار من له أهلية العلم، ومن لازم الأشياخ في ذلك الفن، وتأدب بأدب العلماء، وأحيانا يعينه الحاكم للتعليم في دولته " وقد أوردت المصادر أن سلاطين بني زيان كانوا يشرفون بأنفسهم على تعيين الأساتذة في مدارس دولتهم ويدفعون لهم أجورهم كما يحضرون مجالس دروسهم " فهو بذلك أمين على الطلاب يعاملهم مثل أهل بيته، ولا يقتصر في حياته على بذل المادة العلمية فقط، بل له فضل كبير في تقويم سلوكهم وأخلاق الطلاب ، أو حتى مسار حياتهم " وليعلمهم الأدب فإنه من الواجب لله عليه النصيحة وحفظهم ورعايتهم" ، ويعطيهم خلاصة الحياة من الحكمة حتى إذا تخرجوا على يديه يكون لطلابه – وإن كان العلم قليلا- لكن لهم فكرا صحيحا ومنطقا سليما، ونظرة سديدة إلى الحياة ، يسيرون فيها سير البصير المجرب..

إن كثيرا من مسائل التعليم كانت تعرض على أهل الفتوى ليعرف محلها من الحلال والحرام، يقول ابن سحنون: في مسألة اشتغال المعلم عن الطلاب: " ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان إلا أن يكونوا في وقت لا يعرضهم فيه، فلا بأس أن يتحدث وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم" ..

أما في الجامعات المعاصرة فإن المعلم أو الأستاذ قد يتخرج في الكلية و لديه نقص كبير في الرصيد المعرفي، بخلاف المعلم الذي يحمل العلم في صدره، وأما الضابط التعبدي فقليل مقارنة بسابقه، بسبب نظرة المعلم إلى الوظيفة التعليمية، وأما ما يتعلق بالمخالفات التي يرتكبها المعلم فهي تخضع للقوانين الردعية التي سنتها الإدارة، وقد تكون فيها بعض المحاباة و بالتالي يقل الوازع الديني

لدي بعض المعلمين، بخلاف من يستفتي فيها وبيان حال المخالفة بين الحلال والحرام، والتي تجعل للمعلم رقيبا على نفسه، فلا يعاملون الطلاب على مبدأ المساواة، ويضطرب النظام العام للتعليم وينعكس على التحصيل العلمي...

* **المتعلم:** كان المتعلمون أيام الحواضر العلمية يختلفون بحسب الحال والمرحلة فأبناء الملوك والأمراء وورثة الملك يخشى عليهم من الأذية فيتعلمون في بيوتهم ويجلب لهم المدرسون والمؤدبون الأكفاء، وأما أبناء عامة المجتمع فيدفعون المقابل إلى المعلم مقابل تعليم أبنائهم، والفقراء وأصحاب الحاجة ممن لا يقدر على دفع الأجرة للمعلم فالغالب لا يتعلمون، هذا مع التزام المتعلم الأدب والاحترام لمدرسهم، إذ لم يكن منهم أصحاب الفسوق والجرائم أو إلزام المعلم بتدريسهم، وأيضا كان المتعلمون يتجنبون الجمع بين الذكور والإناث مع تقدم العمر لتجنب الفساد، ونقل عن الإمام مالك الكراهة في الاختلاط بين الجنسين" "وأكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن، ذلك فساد لهم "

أما حال المتعلمين في الجامعات المعاصرة، ففي بعض كثير من الدول الإسلامية مجاني في كل المراحل التعليمية، وهو ما لم يكن في التعليم القديم،وأما أجرة المعلم على عاتق الدولة وإعفاء الأولياء من تكاليف المعلمين وهذه من الأمور المحمودة كذلك، لكن من الناحية الأخلاقية فالتعليم الحديث بما فيه من التيارات الفكرية والأخلاقية السلبية المنتشرة بين صفوف المتعلمين أدى إلى تغير فكري وأخلاقي مناف في العديد من الأحيان لمبادئ الطالب العربي المسلم، وهو ما يعكس صورة بعيدة عن العلم و الرّقي الحضاري...

*** المحتوى التعليمي: كان المحتوى التعليمي في الحواضر القديمة على اختلاف أنواعه كله من منشأ واحد في بداية التعليم الأولي، فيلقن المتعلم أولا حفظ القرآن وعلوم اللغة العربية، والقيم الإسلامية المثلى، ثم يتجه إلى العلوم الأخرى العلمية أو النقلية وأمّا التعليم في التخصص أو الاحترافي فتتم في المساجد الجامعة والمدارس المشهورة جدا " ففي هذه المرحلة ينكبون على دراسة مختلف التخصصات العلمية إلى جانب العلوم الدينية " أما في التعليم المعاصر فالتعليم الأولي ضعيف جدا من حيث المضمون مقارنة بالتعليم القديم، الأمر الذي يجعل من المتعلم ينطلق من أرضية غير هشة وغير متينة، فلا يمكن أن يشيد عليه الشيء الكثير.. أما من حيث التخصص في التعليم الاحترافي أو التعليم العالي متشابهان فيمكن القول أن الجامعات المعاصرة أكثر توسعا وتخصصا وطلبة مقارنة بالتعليم القديم..**

*** الغاية من التعليم: التعليم في الحواضر القديمة له أبعاد متعددة بعد هدف نشر العلم والقضاء على الأمية، ويمكن أن نجمل أهمها :**

1/ الحفاظ الهوية العربية الإسلامية: وذلك من خلال التعليم القرآني واللغة العربية والتاريخ الإسلامي في بداية التعليم يجعل المتعلم يدرك موضعه من الأمة وأنه تحمل جزء من مسؤولية تجاه أمته.

أما في التعليم المعاصر مع المقررات المستوردة على قيم وأسس الغير فإن هذه الغاية باتت غير مضمونة بشكل سليم.

2/ الإعداد للحياة: ومعناه أن التعليم منذ مرحلة الابتدائي يزرع في الطفل بذرة الرجولة والاستعداد للمستقبل، والسعي للكسب الطيب سواء بالعلم أم بغيره، إذ ليس الهدف من التعليم هو الاتكال عليه في المعيشة وإنما يصنع منه رجلا مثقفا واعيا عاقلا قواما على شؤون الحياة.

أما في التعليم المعاصر فنجد كثيرا من المتخرجين بطالين لا يعملون أعمال أخرى لاتكالهم على الدولة في توفير مناصب الشغل في ميدان تعلمه ، مع قلة النضج الفكري والقوامة على مسؤوليات الحياة.

3/ التربية الإرادية: وهي من الأهداف الثمينة، وهي عدم الاستسلام أمام الصعاب والصبر وتحمل المشاق في سبيل بلوغ الغايات.

4/ الإسهام في بناء الأمة : وذلك من خلال التعليم الاحترافي ومواصلة البحث إلى الممات، ينتج عنه علماء مختصون في ميادين شتى . وهو الأمر الذي يصنع الحضارة بشقيها: الفكرية والعمران...

أما في التعليم المعاصر فإن الجامعات تنتج أعداد هائلة بمئات الآلاف لكن للأسف لسوء التسيير والتهميش تحولت البلاد العربية والإسلامية إلى بيئة طاردة للنخبة وبالتالي تستقطبها الحضارات في الشرق والغرب من الأرض. وهو الأمر الذي يوهن العزائم، ويفقد الثقة في التحصيل العلمي ما يسهم إلى حد كبير في التخلف عن الركب الحضاري

4. كيف يمكن الاستفادة المن الحواضر الإسلامية القديمة لأجل استعادة المجد الحضاري؟؟

ويمكن ذلك من خلال العمل على الإيجابيات التي عمل عليها الأولون، والتي مكنت لهم التفوق الحضاري على سائر الأمم.

2/ رد الاعتبار للعلم والمعلم والمتعلم في المجتمع ،وإنزالهم المنزلة اللائقة بهم .

1/ تنشئة المتعلم على القيم الروحية التي تزرع الدافعية في التحصيل العلمي والمتمثلة في القرآن الكريم والقيم الإسلامية واللغة العربية والتاريخ الإسلامي العربي.

3/ ممارسة التعليم تدوين العلوم باللسان العربي بدلا عن اللغات المستوردة.

4/ توفير الجو الملائم للعمل البحثي والبيئة الجالب للعلماء والمتعلمين.

5/ حيادية التعليم عن كل التوجهات الفكرية و الإديولوجية أو الممارسات السياسية.

- **خاتمة:**

إن بناء الحضارات يعتمد أساسا على العلم والعقل واللغة . فإذا اختل أحد هذه الشروط الثلاثة تعطلت الشروط الأخرى وتأخرت عن بناء الحضارة ، وقد أيقنت الحواضر الإسلامية القديمة هذه المعاني فعملت على تحقيقها فحصلت لها تلك الحضارة قبل غيرهم من الأمم، ولما تخلف اللاحقون عن هذه المعاني وضيعوا بعضا من لبنات الفكر الحضاري تخلفوا عن مسايرة الركب الحضاري ..

وكما يقول الإمام مالك رحمه الله : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به آخرها.

- **المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم برواية ورش.

- محمد ابو إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، ط: 1، 2002

- أبو الحسين مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: أبو قتيبة نظر، محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 2006
- محمد ابن سحنون، رسالة آداب المعلمين، تحقيق: دانا البرزنجي، المديرية العامة للمكتبات، إقليم كردستان، 2022،
- محلة الأصالة،العدد: 26 ، 1975. 138.
- محمد بو شقيق، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الـ 9هـ/ 15 م مذكرة ماجستير ، منشورة، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004 .
- محمد عواوي، مناهج التربية والتعليم، دار المفيد، سوريا، 1335هـ ط: 1
- كمال الدين الحلبي، الدراري في ذكر الذراري، تحقيق علاء عبد الوهاب، دار السلام، بيروتن لبنان، 1984، ط: 1.
- بوخضار فايزة، مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية (دراسة تاريخية أثرية) رسالة ماجستير، منشورة، معهد الآثار، جامعة الجزائر-2- ، الجزائر، 2011.
- بن تركية سعيدة، التربية والتعليم في المغرب الاوسط خلال القرنين السابع والثامن هجريين (13 /14 م) رسالة ماجستير، منشورة، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2016.
- لغيشم مصطفى، هجرة العلماء بين المغربين الأوسط والأقصى - دراسة اجتماعية ثقافية - (ق 7 /9 هـ -- 13 / 15 م)نرسالة ماجستير ، منشورة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر-1- ، الجزائر ، 2013.